المحاضرة الثالثة : السفارة البيزنطية الأولى بالأندلس

تمهيد :

حسب المصادر التاريخية فقد تأخر الاتصال الأموي البيزنطي في عهد الإمارة قرابة القرن على قيام الدولة الأموية بالأندلس – عدم وجود أي فكرة للاتصال في المجال الدبلوماسي – وقد أوردت المصادر أن أول اتصال بين الأمويين والبزنطيين كان في حوالي 225 هـ/ 839 م ، عندما أرسل الامبراطور البيزنطي ثيوفيلوس وفدين إلى الأمير الأموي عبد الرحمان الأوسط حسب ابن خلدون في الجزء الأول من العبر وأن أهداف وأغراض هذه السفارة قد تعددت ، لكنها لم تنل حصتها الوافرة في المصادر لموافاتنا بجميع حيثياتها .

1- ظروف السفارة البيزنطية الأولى إلى الأندلس :

لم تشر المصادر إلى كيفية استقبال الأمير الأموي المبعوثين من طرف الإمبراطور البيزنطي ، ولم تذكر الهيأة التي قابلهم بها ، كما لم تذكر لنا من الذي حضر هذه المقابلة ، واكتفت فقط بذكر البعثة البيزنطية المتكونة من شخصين تزعمها قيرا طوس مترجم البلاط البيزنطي ، وأنهم أثناء مقابلة الأمير الأموي قدموا له هدية بعث بها الإمبراطور ، واتفقت المصادر على أن الأمير الأموي قبل هذه الهدية وأرسل للإمبراطور مثلها وكان هذا التقليد سائدا آنذاك بين الدول الممالك والامارات والامبراطوريات .

2- سفارة الأمير عبد الرحمان إلى بيزنطا:

ردّ عبد الرحمان الأوسط على سفارة الإمبراطور البيزنطي سفارة ممثلة في بلاطه ، بحيث أرسل عبد الرحمان الأوسط سفيرا ممثلا في شخص يحي الغزال ، أحد رجال بلاطه ، ومرافقا للبعثة في عودتها .

سار يحي الغزال ومعه رجل آخر اسمه يحي يرافقهما الوفد البيزنطي نحو الجنوب الشرقي ومن هناك ركبوا البحر نحو القسطنطينية .

أي أنهم حسب المصادر ساروا في البحر المتوسط تجاه الشرق وقد عانوا أهوال البحر وأمواجه ، حتى أشرفوا على الهلاك .

وصف يحي الغزال هذه الرحلة شعرا إذ اطلعتنا بعض المصادر التاريخية عن رحلة يحي الغزال إلى بيزنطة ورحلته إلى بلاد الدانمارك .

لكن المصادر المتأخرة ، فصلت في هذا بحيث ذكرت أنه بعد انتهائه في مهمته بالقسطنطينية ، وعودته شد الرحال مرة أخرى لبلاد الدانمارك لأن الوفد الأموي عاد من شنت ياقب في

الشمال الغربي للأندلس وهي بعيدة عن الدانمارك حتى يمر بها في طريق عودته من سفارته إلى بيزنطا .

3- مضمون سفارة الأمير عبد الرحمان إلى بيزنطة:

ذهب يحي الغزال إلى القسطنطينية في مهمة سياسية ، لم تورد لنا المصادر حيثياتها الكاملة ، إلا أنه يفهم من خلال الاطلاع على مجموعة من المصادر أنه حمل رسالة من الأندلس إلى بيزنطا كان فيها ردا على مطالب الامبراطور البيزنطي والتي بقيت مجهولة إلا ما تم استنتاجه من خلال الرد الذي جاء في الرسالة التي حملها يحي الغزال ، وانطلاقا مما جاء في الرسالة يذكر ابن حيان أن الأمير البيزنطي طلب في رسالته من عبد الرحمان الأوسط ما يلي :

المواصلة والتواصل بين الجانبين الأموي والبيزنطي وطلب تبادل المبعوثين بينهما .

2- ترغيب الأمير الأموي في ملك أسلافه بالمشرق وأنه على استعداد لمساعدته على استحقاق ذلك .

2- طلب إرجاع جزيرةاقريتش إلى الدولة البيزنطية وإخراج الأندلسين الفاتحين منها .

3- عقد معاهدة صداقة من الطرفين .

وجاء الرَّد من عبد الرحمان الأوسط على رسالة الإمبراطور مفصلا ، بحيث أجابه على كل مطلب .

1- إجابته بوصول كتابة والإطلاع عليه .

2- تفهم مشاعره العاطفية التي تعود جذورها إلى الصداقة التي كانت قائمة بين أجداد الإمبراطور والأمير الأموي بالشام ، ومحاولة تفهمه في رغبته في تجديد هذه العلاقة وأنه يحترم الحفاوة والترحيب التي جاءت في رسالته .

4- أظهر الأمير أيضا في رسالته تقديره الشخصي للإمبراطور ولمشاعره النبيلة في تأسفه المؤلم لبني أمية في المشرق .

3- أظهر الأمير في رسالته أنه أيضا له رغبة في تجديد التواصل والتمسك به وأن ذلك أمرمحبب بين الملوك .

5- إظهار عبد الرحمان أن عودة الأمويين إلى المشرق أمله هو وأنصاره في الشام والأندلس ، وأنه على ثقة أن الامبراطور لن يتخلى عنه إذا عزموا على العودة نظرا لما تربطهم من صداقة ومودة .

أمَّا فيما يخص طلب مساعدة الأمير عبد الرحمان ضد مسلمي جزيرة اقرتيش فرد عليه الأمير بأن هؤلاء المسلمين خارجون عن سلطة الدولة الأموية في الأندلس ، ولا ولاء لهم للأمير الأموي ، وليسوا معارضين ولا تربطهم به أي علاقة ، بل هم تابعون للعباسيين بالمشرق ، فإن عاد الأمويون للمشرق سننظر في أمرهم .

بالنسبة للظروف الدولية ، التي أحاطت سفارة الإمبراطور البيزنطي إلى الدولة الأموية بالأندلس هو اشتداد الغارات العباسية على الحدود الجنوبية للدولة البيزنطية ، والتي بلغت ذروتها في عهد الخليفة المعتصم والذي خاض بنفسه معركة عمورية ، ضد البيزنطيين الذين انهزموا فيها هزيمة نكراء أثارت في صفوفهم هلعاً ورعبا دفعت بالإمبراطور إلى التفكير في التحالف مع الأمويين .

***نسب الغزال** : أبو زكرياء يحي بن الحكم البكري نسبه إلى بكر بن وائل وأصله من مدينة جيان ، حيث لقب يحي الغزال الجياني ولد 156 هـ ، لقب بالغزال ، نسبة لبهية طلعته وجماله وظرافته وتأنقه في الملبس ، وكان شاعرا وجزلاواشتهر بشعره الساخر واللاذع وبرع الغزال في الجمع بين الفلك والفلسفة ، وكان سياسيا بارعا محنكا يجيد خطاب الملوك ، عرف أيضا بأصالة الرأي وحسن التدبير حتى قيل أنه شاعر الأندلس وعرّافها .